

رمضان من سُبل الرحمة



www.balagh.com

في هذا الشّهر عَمَّا مَلَكتْ يَمِينُهُ خَفْفَافٌ عَنْهُ حسَابَهُ، وَمَنْ كَفَرَ فِيهِ شَرَّهُ كَفَرَ أَنَّ فِيهِ غَضَبَهُ يَوْمَ يَلْقَاهُ، وَمَنْ أَكْرَمَ فِيهِ يَتَيِّمًا أَكْرَمَهُ أَنَّ يَوْمَ يَلْقَاهُ، وَمَنْ وَصَلَّى فِيهِ رَحْمَمَهُ وَصَلَّى أَنَّ بَرَحْمَتَهُ أَنَّ يَوْمَ يَلْقَاهُ، وَمَنْ قَطَعَ رَحْمَمَهُ قَطَعَ أَنَّ عَنْهُ رَحْمَتَهُ يَوْمَ يَلْقَاهُ، وَمَنْ تَطَوَّعَ أَنَّ بَرَحْمَتَهُ كُتُبَ لَهُ بِرَاءَةٌ مِنَ النَّذَارَ، وَمَنْ أَدْيَ فِيهِ فَرِضاً كَانَ لَهُ ثَوَابٌ مِنَ أَدْيَ سَبْعِينَ فَرِضاً فِيمَا سَوَاهُ مِنَ الشّهُورِ، وَمَنْ أَكْثَرَ فِيهِ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ ثَقَلَ أَنَّ مِيزَانَهُ يَوْمَ تَخْفَفُ الْمَوَازِينُ، وَمَنْ تَلَّا فِيهِ آيَةً مِنَ الْقُرْآنِ كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ خَتَمَ الْقُرْآنَ فِي غَيْرِهِ مِنَ الشّهُورِ أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ أَبْوَابَ الْجَنَانِ فِي هَذَا الشّهُورِ مُفَتَّحَةٌ، فَاسْأَلُوا رَبَّكُمْ أَلَا يُغْلِقُهَا عَلَيْكُمْ، وَأَبْوَابَ النَّيْرَانِ مُغَلَّقةٌ فَاسْأَلُوا رَبَّكُمْ أَلَا يُسْلِطَهَا عَلَيْكُمْ. قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (ع) فَقُمْتُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَهُ، مَا أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ فِي هَذَا الشّهُورِ؟ فَقَالَ: «يَا أَبَا الْحَسَنِ، أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ فِي هَذَا الشّهُورِ الْوَرَاعُ عَنْ مَحَارِمِ أَنَّ عَزَّ وَجَلَ». ثُمَّ بَكَى، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَهُ، مَا يُبَكِّيكَ؟ فَقَالَ: «يَا عَلَيَّ، أَبْكِي لِمَا يُسْتَحْلِلُ مِنِّي فِي هَذَا الشّهُورِ، كَأَنِّي بَكَ وَأَنْتَ تُهْلِكُ لِرَبِّكَ، وَفَدَ ابْنَعَشَ أَشْقَى الْأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، شَقِيقُ عَاقِرٍ نَاقَةٌ ثَمَودٌ، فَضَرَّ بَكَ ضَرِبَةٌ عَلَى فَرِيقِكَ (فَرِيقِكَ) فَخَاهَضَ بَعْضَهُ مِنْهَا لِحِيَتِكَ». قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (ع): فَقُلْتُ: يَا رَسُولَهُ، مَنْ سَلَامَةٌ مِنْ دِينِكَ؟ ثُمَّ قَالَ (ص): «فِي سَلَامَةٍ مِنْ دِينِ دِينِكَ». ثُمَّ قَالَ (ص): «يَا عَلَيَّ، مَنْ قَاتَلَكَ فَأَقْدَدَ أَبْغَضَنِي، وَمَنْ سَبَّلَكَ فَأَقْدَدَ أَبْغَضَنِي، وَمَنْ طَبَّنِي وَرَوَحَكَ مِنْ روحي، وَطَبَّنِتَكَ مِنْ طينَتِي...». فَهذا الفضل العظيم الذي أوضحته الحديث النبوى هو بعض من عطاء أَنَّ ورحمته في هذا الشهر بالإضافة إلى الأحاديث الأخرى عن النبي وأهل بيته (عليهم السلام) التي أوضحت بعض الخصائص الأخرى لهذا العطاء الإلهي العظيم الذي لا يقدر عليه سواه، ومن ذلك ما يلى: عن النبي (ص) أَنَّه قال: "مَنْ صام رمضان إِيمانًا واحتسابًا غفرَ له ما تقدم من ذنبه". فكان شهر يعدل حجاً آخر لعباده إذ يعود الإنسان كيوم ولدته أُمُّه عند أداء الصوم بشروطه الكاملة في شهر رمضان. عن أمير المؤمنين (ع) في شرح بعض فضائل الشهر المبارك قال: "لما حضر شهر رمضان قال رسول أَنَّ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أَيُّها الناس كفاكُمُ أَنَّ عدوَكُمْ من الجن والإنس، وقال: (رَبُّكُمْ أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) (غافر/60)، ووعدكم الإجابة، ألا وقد وکَّلَ أَنَّ بِكُلِّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ سبعةً من ملائكته، فليس بمحلول حتى ينقضي شهركم هذا، ألا وأبواب السماء مفتَحة من أول ليلة منه، ألا والدُّعاء فيه مقبول". وعن الإمام الصادق (ع) قال: "الصائم في عبادة وإن كان نائما على فراشه ما لم يغتب مسلما". وعن الإمام الباقر (ع) قال: "إن أَنَّ ملائكة موكلين بالصائمين يستغفرون لهم في كل ليلة من شهر رمضان إلى آخره وينادون الصائمين في كُلِّ ليلة عند إفطارهم ابشروا عباد الله (الحديث)". أمّا الحائزة العظمى والورقة الفائزة في هذا الشهر فهي ليلة القدر التي جعل الله الثواب فيها خير من ثواب ألف شهر فيما سواها، أي ما يزيد على عبادة ثلاثة وثمانين سنة (ليلة القدر خير من ألف شهر)، هذا فيما إذا كان ألف رقماً حقيقياً، أما إذا كان ألف رقماً نسبياً للدلالة على الكثرة كما يقال في الأربعين والسبعين، وكما يقول النّاس في وصفهم (لو توسل بي ألف مرة لما أجبته لما يريد)، فعند ذلك يمكن أن تتصور كم ألف تعدل هذه الليلة المباركة إذا توفّق الإنسان لأدائها بشروطها التي يريدها الله، وكم هو مدى عطاء الله وكرمه وفضله على عباده.